تضاريس وجع

www.ebibliomania.com

+201065534541
+201208868826
fb.com/Books.Bibliomania/
بيلومانيا للنشر والتوزيع
fb.com/bibliomania.eg/
Insta:books.bibliomania/
Books - بيلومانيا
fb.com/groups/Bibliomania.Books/
@BibliomaniaEg

تضاريس وجع

قصص قصيرة

حسان عبد القادر عفارة

لا يجوز نشر هذا الكتاب أو أي جزء منه بأي شكل من الأشكال أو نسخ مادته بطريقة الاسترجاع، أو نقله على أي نحو بطريقة إلكترونية أو بالتصوير أو ترجمته إلى أية لغة أخرى دون الحصول على موافقة الناشر مقدمًا.

All Rights Reserved. No part of this publication may be reproduced, stored in a retrieval system, or transmitted, in any form or by any means, electronic, mechanical, photocopying, recording, or otherwise, without the prior written permission of Bibliomania Ltd.

بيبلومانيا للنشر والتوزيع

書誌事項

- **الكتاب: تضاريس وجع**
- **المؤلف: حسان عبد القادر عفارة**
- **نوع العمل: قصص قصيرة**
- **الطبعة الأولى 1440 هـ - 2019 م - القاهرة**
- **الناشر: ببلومانيا للنشر والتوزيع – مصر**

- **رقم الإيداع : 2019 / 3591**
- **الترقيم الدولي (ISBN): 978-977-6607-83-5**

- تنسيق وإخراج: فريق إعداد ببلومانيا
- تدقيق: ببلومانيا
- لوحة الغلاف: محمد جوخدار
- المدير العام: جمال سليمان
- العنوان: 27 شارع جمال الدين دويدار من عباس العقاد – مدينة نصر - القاهرة
  38 شارع عمر المختار – الأميرية – القاهرة
- تليفاكس: 0020226061014
- محمول: 00201208868826 – 00201065534541 – 00201210826415
- صفحة الدار على موقع فيسبوك: https://www.facebook.com/bibliomania.eg/
- الموقع الإلكتروني: www.ebibliomania.com

كل ما ورد في هذا الكتاب من أخبار وأحداث وآراء يعبر فقط عن رأي الكاتب، ولا يعبر بالضرورة عن رأي الناشر، ودون أدنى مسؤولية على دار ببلومانيا للنشر والتوزيع

إهداء

كنت صغيرا وكانت تعلمني الأبجدية،تمرر بإصبعها الحانية فوق الحروف.

ترتب كتبي في حقيبتي الصغيرة،ويتبعني قلبها إلى طريق المدرسة بالأماني والدعاء.

كبرت قليلا و ظلت هي مدرستي، أبتسم حين أراها تمرر أصابعها على كلمات لم أقرأها.

تلك الجميلة كانت أمية ..

أصرت وهي تتخطى عتبة الخمسين أن أعلمها القراءة،فكان دين علي أن أقضيه.

أخبرتني منذ مدة بأنها تقرأ الآن سورة (البقرة)

آسف أنا يا أمي قد غيبت عنك لسبع شداد

ولا يسعني أن أرد لك اليوم ولو جزء بسيط من دينك علي هذه المجموعة سأهديها لك على أمل أن تقرأيها لي ذات لقاء

حسان عبد القادر عفارة

مقدمة

كم هو صعب أن تقف على بوابات خيم الحرف ومدن الحكي وتبتسم لأولئك الأبطال المتدثرين بحبر السلام....
مصافحا ومربتا على أكتاف الثكلى واليتامى، ومدبرا من الرقيب... وماذا لو كنت أنت الرقيب...؟ هل ستكون ذائقتك كما أي قارئ يتوق أن يمد أصابعه للوحة الشطرنج ويمنع أن تتوحد أخاديد الوجع في جوف القاص المتمرس حسان عبد القادر الشامي المصور لتفاصيل هذه الأمة البائسة...؟ أكيد سيجعلها بإبداع خلاق تصب في أرواح أبطال مآسيه المعتمة التي ستضيئ ألقا وابداعا يوما بعد يوم هذا ما فعله الكاتب في تضاريس الرحيل ...لقد توالت عناوين تضاريس الوجع للقاص والروائي المبدع حسان عبد القادر الشامي الذي تفرد في توقيعها بلحن حزين رافق وجع المواطن الشامي والعربي على حد سواء وحيثما حل وارتحل في شكل تفاقمي لدرجة تجعلك تشكك في المقولة –لا يتسع الأمر إلا إذا ضاق-... فكان

مبدعا بهذا الألق حيث أجاد الإسقاط على واقع الأمة العربية رغم تنوع جغرافيتها وتعقيدات تضاريسها...هذا المغاربي الشامي احترف القص وأتقنه بحرفية مائزة فصنع من ثلاث عشرة قصة قصيرة حياة أخرى توغل بنا في المعاناة القدرية للإنسان الذي تخونه الظروف النفسية و السياسية والاقتصادية والاجتماعية...

بحبكة ودقة عمل على تجسيد الرحيل بمختلف ظروبه فتارة بغرق أبطاله في قصة "قارب عند منتصف النهاية" وتارة أخرى يُرَحِل بطله في قصة "فاطمة" بطعنة خنجر، وبصدمة سيارة في قصة أخرى وببرد حد التجمد والموت كما في قصة "توحد" ويتكرر الرحيل بحبل في حكايات يائسة من الحياة المريرة التي ترهب حتى الطفولة...

في قصة لحظة حكاية حب مجهضة تنتهي بتضحية البطلة لأجل أن يعيش حبيبها هو رحيل أو انتحار نفسي بتقبل شريك لم تختره لها زوجا ولم تتقبله روحها لكنها تتدلى من فصول حياته بأنفاس ذابلة في أمل مفقود تائه عبر تضاريس قصص المجموعة، لقد جاءت كل النهايات سوداوية وحزينة

وتفتح جروح إنسانية كما هي مفتوحة في روحه

راوحت نفس الكاتب الأبية في رصد عنوان لإرهاصاته المبدعة بين قبضة وطن وتضاريس الوجع...فحطت طائرة أحزانه على تضاريس موجعة تميزت

- بلغة سرد راوحت بين الشعرية العميقة وبين الواقعية لتؤدي غرض العرض بالتفصيل للواقع المرير الذي عايشه دون شك..

أما التكثيف ..فيمكن أن نقول أنه كان التزام القاص خلال أكثر العناوين التي جاءت مختصرة وبديعة ملبية لرغبة القارئ العجول..

- الحوار كان متنوعا بين الداخلي والخارجي يوقع القارئ في ارباك نفسي يجعله يأمل التدخل لتغيير عجلة الحياة لأبطال من ورق أو من حبر.

- أما عقدة النصوص أستطيع أن أصنفها أنها الحلم العربي الضائع وحياة أبطال الكاتب حسان ليست سوى حيوات العربي المقهور في كل مكان سواء في وطنه او في بلاد العرب أو العجم التي كثيرا ما هم للوصول اليها لكن كيف غيبت

(قوارب الرحيل) مجازا الجميع من المشهد القصصي كآخر وجع يمكن تخيله في المآسي العربية العميقة... عموما ...فكل أبطال القصص الثلاثة عشر هموا للرحيل بحثا عن حلم لعله أمل واحد ووحيد هو الأمان النفسي والجسدي و مرسى قلب كان له شبر تلوح منه كف روح معذبة منذ نشأتها فهل ارتاحت في التغيير...

- أما الالتزام والرمزية لدى أ. حسان يمكن القول أنه كاتب التزم بتصوير وجع الانسان دون تحديد أنه سوري في محاولة كشف غياب حق الحياة والعيش الكريم لكل طفل وامرأة وعجوز وفتاة كحق أي فتاة في اختيار زوج تحبه وترضى به في قصة لحظة

- لسان الكاتب تنوع بين ضمير الأنا والهو...لكنه غلب ضمير الأنا لما لتأثير الشخوص على شخصيته لكأنها سيرة ذاتية لكاتب أتعبته الغربة

بعيدا عن الوطن الأم وبعيدا عن الأم البيولوجية..

"إنها تمام الثانية قهرا، حسب توقيت رصيفنا الذي نفترشه..."
لم الرحيل لولا القهر والظلم الذي نعانيه "دس في جيب سترته نقودي التي جمعتها بعد أن بعت أثاث منزلي ومكتبتي التي أعشقها ودراجة صغيرة كانت لطفلي الأصغر" لولا البحث عن فجوات في تضاريس الوجع لما كانت كل هذه الأمواج عاتية تصفع فكر مبدعنا فتهيئه لكل هذا الخيال الواقع الخصب من الابداع، وغير مهم أن يكون للرحيل طريق (اللارجوع)، لعل تلك الطريق بحد ذاتها تحرر من الأوضاع المزرية التي يعيشها "شعرت بخفة روحي كان المشهد من فوق أمتع، لقد تجمهر الناس والتلاميذ حول جثتي،"
وكي أترك زاوية للمتعة واكتشاف تفاصيل التضاريس الموجعة ونهايات أكتفي ب قولي
لله درك من قلم فذ أ. حسان عبد القادر الشامي...ننتظر أفراحك القادمة بشوق..

فايزة لكحل

قارب عند منتصف النهاية

هزني بيد مرتجفة قائلاً: هل أنت ميت يا رجل...!؟

كانت مهمة فتح عيني شاقة للغاية، حاولت بصعوبة أن أحرك جسدي لكن أجزائي كانت شبه محطمة، وجراحي تنزف من مكان

ابتلعت ريقي، كان طعم الملوحة جارحا في حلقي ورائحة العفونة تملأ المكان.

لا أدري كيف قفزت في مخيلتي صورة زوجتي وهي تحضن أطفالي بكلتا ذراعيها كطائر يضم فراخه بخوف وعطف، همست وهي تنتحب وأصوات الرجال والنساء والأطفال تمزق صمت البحر الرهيب بالبكاء والدعاء والعويل ....هل سنغرق هل سنفترق...!؟

لم يكن بمقدوري آنذاك أن أفسر ولأول معنى تلك النظرة الأخيرة..!

كنت رافضاً تماماً فكرة الهجرة بحرا لكن ذاك الرجل القصير صاحب الكرش المتدلية والعينين الغائرتين أقنعني بأن الرحلة جداً طبيعية، حالي كباقي كل الناس والأمر سيكون على ما يرام...

دس في جيب سترته نقودي التي جمعتها بعد أن بعت أثاث منزلي ومكتبتي التي أعشقها ودراجة صغيرة كانت لطفلي الأصغر...

توجهنا قبل منتصف الليل حاملين ما استطعنا من حقائب سيرا على الأقدام مسافة ساعتين، كان البرد القارس يلفح وجوهنا بلؤم

استوقفنا خمسة رجال مسلحون يرتدون زيا أفريقيا وأشكالهم تشي بالريبة والجشع، صاح بنا أحدهم: خلفي...ستمكثون هنا حتى يحين الوقت، قال رجل منا بدت عليه علامات القلق والرعب: أين ...هنا ...غرفة فقط ..!؟

صفعه بقسوة قائلا:

- أغلق فمك...ولا تجادل...

كنا قرابة الأربعين بين رجل وامرأة وطفل...نام الرجال في العراء وضمت النسوة الأطفال ننتظر ساعة الرحيل

ثلاثة أيام على تلكم الحال والوقت يمضي بصعوبة، وكأنه رجل يزحف بصدره العاري فوق زجاج محطم، لم أكن أحاول أن أتخيل

أي شيء قد يحدث منا، فلقد بدا الأمر غاية في السوء...

قبل الفجر بقليل جاء الرجال المسلحون تجار البشر

أخذوا جميع ما نملك من نقود وذهب وهواتف محمولة

وجرونا كالنعاج إلى مركب شبه بال، صاح الناس أبهذه سنسافر..!؟ وراح

المهربون يكيلون لنا أقذر الشتائم وأفظع اللكمات حتى

استوينا غصبا في المركب وانطلقت بنا نحو الحلم المنشود...
بعد عدة ساعات والأمواج تلوح بنا يمنة ويسرى... بدأ الماء يتسرب من كل مكان في المركب
وراحت الناس تستصرخ وتلهج بالدعاء والرجاء...
راح المركب يغرق رويداً...رويداً...قفز منه من قفز وبقيت فيه ابتسامة زوجتي الحزينة..!؟

حركت لساني بصعوبة... همست للرجل الذي لم أره
- أين أنا..!؟
قال بصوت كأنه قادم من بئر عميق:
- في سجن خفر السواحل.

***

تجاعيد

تجاعيد...

أخذ رشفة أخرى من كوب الشاي البارد. أعمل مقصه في شعري ولسانه في أذني، أتدري يا أستاذ (صمت برهة) ثم قال مستكملا: لقد سحبوه ليلة أمس من فراشه على مرأى ومسمع من كل أهل الحي ولم ينبس أحدهم ببنت شفة..! الأمر زاد عن حده، الوضع لم يعد يحتمل...

تململت في مكاني، ذاك الوجه لم يتغير، سوى سواد زاد سحنته ظلمة لأسباب كل الناس

أبو محجوب باختصار هو مخبر في ثوب حلاق الحي... كان لتقاريره الكيدية اليد العليا في إلقاء معظم الشباب في غياهب السجون والمعتقلات.

تظاهره بالزهد والطيبة(بعد وفاة زوجته التي وضعت له بكره المعاق) سرعان ما تحول إلى لؤم ومكر لا حد له..

أكملت الحلاقة عنده على مضض، دسست في جيبه بضعة أوراق نقدية (كما جرت العادة)ومعها رسالة صغيرة..

خرجت من عنده أتنفس عبق شارعنا وأجر خطاي، عشر

سنين بالتمام والكمال وأنا في المعتقل أكابد صنوف العذاب

لم يكن بوسعي بعد أن فقدت النطق أن أقول لذلك الشقي

(أبو محجوب)

حسبي الله ونعم الوكيل واكتفيت بكتابتها.

***

فاطمة

فاطمة

أفقت والذعر يأكل خافقي من ذاك الحلم. جلست على سريري وكأنما جبال قد أطبقت على صدري، لأول مرة منذ سنين يخرج زوجي للعمل دون أن أشعر به.

إنها السابعة صباحا على عجل ودعت أطفالي لمدرستهم ودعواتي ترافقهم للبوابة الخارجية.

مر يومي بطيء ثقيل على غير العادة تلك الرهبة لا تفارقني دون أي مبرر.

مهمة تحضير وجبة غداء شبه مستحيلة في ظل خزائن فارغة وثلاجة أعلنت منذ شهور استقالتها، عاد محمود من المدرسة تطير به السعادة بجناحين، أخبرني بأن معلمته قد أثنت عليه وزينت دفتره بالشكر والتقدير. الآنسة (رابعة) صبية في مقتبل العمر ترسم البسمة على وجوه تلاميذها رغم كل الألم الذي تكابده. اعتقل زوجها وهي حامل بطفلتها الوحيدة (جودي)وها هي جودي اليوم بلغت سن السابعة ولم تر سوى تصاوير لوالدها.

إنها الساعة السادسة مساء، طرق الباب، هرعت أفتح وإذ

بزوجي يحمل بيديه بضعة أكياس وفي عينيه بريق سرور واضح، ابتسم قائلا: أكملت عملي أخيرا وأخذت حسابي كاملا مع إكرامية، سنشتري في الغد مدفأة نضعها في غرفة الأولاد، أعطي كل واحد منهم تفاحة كاملة ريثما أتوضأ ونصلي المغرب سويا.

أخذت الأكياس من يديه، لامست خشونة كفيه، قفزت دمعة من عيني على غفلة، سرعان ما قبل رأسي...

اجتمعنا خلفه يأمنا ومحمود يسرع بالوضوء ليلحق بنا، لا أدري لماذا شرد فكري... ووددت لو أني أقطع صلاتي لأخبر زوجي كم أني أعشقه وكم أحزن لحاله، وتعبه لأجلنا. فجأة اهتزت الجدران ودوت انفجارات هزت أركان قلوبنا.

حين أخرجوا جثتي من تحت الأنقاض شعرت بالسعادة بالدفء الذي سكن يدي التي لامست لآخر مرة كف زوجي.

***

يوميات مهرج

غسل وجهه على عجالة والتفت نحوي مبتسما، أمسكت بطرف ثوبه وقلبي يخفق بشدة همست والعبرة تخنقني: خذني معك

مسح بيده رأسي الصغير ومضى دون كلام، ركضت خلفه، ناديته، تلاشى...

لا أدري ما هو الرابط المشترك الذي شدني لذاك العجوز (المهرج) وأنا أبن الثالثة عشر...

لأول مرة يزور قريتي الصغيرة "سيرك"، تهافت الناس رجالا ونساء وأطفالا. علامات السعادة رسمت على كل الوجوه، وقفت على باب خيمة السيرك وحيدا، جدتي المسكينة التي أعيش معها (بعد أن فقدت عائلتي) دائما مريضة ولا معيل لها سوى ما تكسبه يداها من غزل الصوف ولهذا كنت دائما لا أفضل ان أطلب منها نقود...

وقفت طويلا وأنا أسترق السمع لشهقات الأطفال تارة وضحكاتهم تارة أخرى، فيما كانت أحلامي تحلق بي خلف

قماش الخيمة فاجأني وجه ذاك المهرج أمسك يدي قائلا: لما لم تدخل يا صغيري، قلبت له جيوبي فابتسم وسحبني برفق، أدخلني من الباب الجانبي وأجلسني بقربه...حين حان وقت فقرته تعالت الصيحات واشتعل المكان بالتصفيق، قهقهت الناس لحركاته وألعابه كانت نابعة من داخل القلوب، لكني كنت مشدودا لشيء واحد فقط، عيناه، لماذا كل هذا الحزن كيف لم ينتبه لهما أحد سواي. اكتمل العرض، أسدل الستار، خرج الجميع وبقيت متسمرا في مكاني، أقترب المهرج مني قال: انتهى العرض اذهب لأهلك يا بني.

لماذا أنت حزين يا عم !؟ما هذه الدمعة في عينك، إنها تشبه دمعة أمي حين قتل الجنود أبي وهدموا منزلنا في حيفا، لازلت اذكرها تلك الدمعة التي تحجرت في عينيها حين فارقتها الروح وهي تمسك كفي..

أثار سؤالي له استغرابه، ربت على كتفي وقال أذهب الآن وعد في الغد لدينا عرض جديد.

صار المهرج المجهول صديقي رغم فارق السن بيننا، نجلس ساعات طوال يحدثني عن كل شيء. كان فصيح اللسان واسع

الثقافة

والعلم، كلماته كأنها شلال.

شعرت بأني وجدت جزء من قلبي حين تعرفت عليه. أخبرني ذات مرة بأني لا أشبه أقراني وبأني سأكون ذات يوم شخصية مرموقة ونصحني بالكتابة لتفجير مواهبي. مرت الأيام مسرعة. يبست قدماي حين وجدتهم يشرعون بالرحيل بعد أن أكملوا جمع معداتهم، ركضت إلى المهرج باكيا، أرجوك يا عمي لا تذهبوا لم تحكي لي قصتك التي وعدتني...

جلسنا على جذع شجرة مقطوع

نظر إلى السماء قائلا :أنا الدكتور هيثم

أخصائي علم نفس من الخليل خرجت من المعتقل منذ عام فلم أجد سوى حطام مدينة وبقايا ذكريات. أخبرني بعض من تبقى من أهل حيينا بأن المجزرة التي ارتكبها العدو على مرأى ومسمع العالم بأكمله، أخذت كل اهلي و أحبائي تركتني وحيدا في عالم خيم عليه الظلم والسواد، فلبست ثوب المهرج وصرت أجوب المدن والقرى طامعا بنشر السعادة في القلوب

يا لله كم أحزنتني كلماتك يا عم (قلت له)

قام نفض ثيابه وتوجه للصنبور ليغسل وجهه الآخر
ابتعدت سيارة السيرك وصوتي المخنوق داخل حنجرتي ينادي خذني معك.

***

لحظة

لحظة

ثلاث ليال والأرق لا يفارقني، لم يستغرق المشهد بضع دقائق، لماذا أحدث نفسي

!؟ كيف لي أن أهرب من صوتها وعينيها الباكية من خلف النقاب، استجديتها بلطف

أن تخبرني بما حدث وكيف تركتها تلك السيارة هنا وحيدة في هذا الوقت وهذا المكان

!؟راحت تصرخ (دعني أموت ما عاد لحياتي معنى...)

تسمرت قدماي في الأرض وفتكت الحيرة بي أأتركها وأمضي أم أبقى، رحت أقترب منها بروية ونحيبها يملأ المكان.

أقنعتها بأن اوصلها لأي مكان تريد فلم يتبق على أذان المغرب إلا بضع دقائق والطرقات شبه خالية فنحن في أول أيام شهر رمضان. جلست في المقعد الخلفي ومضيت في طريقي دون أن ينبس أحدنا ببنت شفة.

وصفت لي الشارع الذي تقطن فيه وحين وصلنا تمتمت لي بكلمات شكر حزينة، أقنعتها بأن تأخذ رقم هاتفي لعلها

تحتاج أي مساعدة، وافقت على استحياء ومضت وكأنها حلم.
تسارعت دقات قلبي حينما ظهر رقم غريب على شاشة هاتفي وكأنما حدسي أخبرني بأنها !هي..
سرى صوتها في الفؤاد وكأنه دبيب، همست لي بكلمات الشكر الجميل وكم وددت لو توقف الزمن هنا.
سكن عذب الكلام وجداني ورحت أعانق سحاب حلم جال في خاطري لمئات السنين.
اصطنعت الأعذار لأسمع صوتها كل يوم.
تعودتها...أدمنتها...سلبت النوم من أحداقي
طار خافقي فرحا حينما وافقت أن أراها لدقائق برغم كل ظروفها القاسية والسجن الذي تعيشه بعد أن هربت من زوجها الذي يكبرها بعشرات السنين، حين زوجت مرغمة لأبن العم الغني الذي طار بها لأوروبا وهي الطفلة الصغيرة كانت الحياة بالنسبة لها أشبه بالجحيم سهر وقمار وخمر.
ما كان لها إلا تلجأ للجالية العربية التي ساعدتها في العودة لبلادها
وبدلا من أن يكون بيت الأهل هو الحضن الدافئ، قرر الأب

أن يعيدها لزوجها (خوفا من الفضيحة على حد زعمه)
فقررت ندى الانتحار لتهرب من شبح الظلم والقسوة...حتى وجدتها أنا ذلك اليوم وهكذا كشفت لي ذاك الغموض الذي أحاط بأول لقاء جمعنا.
صارت ندى عشقي وجنوني ولطالما سهرت ليال تحت نافذتها المغلقة. أتنفس عبق شارعها، لن أصف سرعة دقات قلبي حينما تطل بوجهها من زاوية الباب لتستلم من يدي بريد شوق نقشته بعطري ونزف قلمي العاشق.
ندى رقيقة كياسمينة، حضورها ساحر، لضحكتها حكاية لا تترجمها كل معاجم العشق
في تلك الليلة سألتني كم أحبها..!؟
قلت انتظريني أغلقت الهاتف وماهي إلا دقائق حتى كنت أقف تحت نافذتها كانت ليلة ممطرة باردة أخبرتها بأني لن أتحرك من مكاني حتى تقول لي بعالي الصوت أنها تحبني، وهي تشير لي خائفة خجلة أن أرحل والدمع يملأ أحداقها شفقة لحالي المجنون حتى بزغ الفجر
حفظت الدروب وقع خطواتنا، غنت الطيور ألحان همساتنا،

تعلمت الشمس كيف تشرق حين تبتسم ندى...

جاء اليوم المنتظر، سعادتي لا تسعها أرض ولا سماء أشعر وكأني طائر يحلق بجناحين، يعلو قمم السحاب، تقدمت لخطبة ندى

!كانت الوجوه تخفي قلقا غير منتظر...

اعتذرت الأم بأدب قالت بأن الفتاة لا تزال على ذمة رجل وحين ينتهي الأمر ستكون الخيرة فيما يختاره الله.

لم يغمض لي جفن ليلتها شعرت بأن شيء ما في قلبي يتمزق رويدا رويدا...

باكرا هرعت إلى هاتفي لأصبح على محبوبتي كعادة كل يوم وكأنما بركان ثار في داخلي فزعا (الرقم المطلوب مقفل)مضى أسبوع على هذه الحال تكاد الوساوس تفتك بي، هل هي مريضة أم حزينة أم.....

لن يثني عزمي أحدا سأذهب إلى بيتها وليكن ما كان. النافذة مغلقة والعتمة تملأ المكان طرقت الباب وإذ بصوت يهمس بهدوء من !؟ قلت أنا مصطفى أين ندى ما فعلتم بها...!؟

خرجت اختها الصغيرة مذعورة وهي ترجوني ان أذهب،

أخبرتني بأن ندى قد ضحت بسعادتها وعمرها وعادت لزوجها مرغمة،

!خوفا علي بعد أن هددوها بقتلي وأنا لا أدري...

فنقشت على جدار الصدر قصتها لحظة(

على مسافة شوق ودمعة، لمحتها بمرآة اليمين، قفزت ملامحها لتجلس بجانبي،

طوقت رائحة عطرها المكان، داعبتني بنظرة عتب، عند أول منعطف توارى الحلم !

***

"تضاريس وجع"

" رمقتني بحيرة : أراحل أنت؟ ! وانفجر السؤال ليمزق جدران حجرتي المظلمة. انتزعت حقيبة أيامي من يدي وراحت تبعثرها. أحلامي أشواقي .... آمالي لم يبق سوى صورتها في قعر الحقيبة...!» لولا تلك البطون الصغيرة الخاوية والأجساد التي بات برد الشتاء نديما لها والله ما تركتكم، همست لها وأنا أحاول أن أفلت أصابعي من لهيب كفها، هي المرة الأولى والقرار الأصعب في حياتي... "رحلة إلى المجهول" كان خط السير المرسوم أن نعبر من مدينة إدلب الحدودية إلى تركيا ومنها إلى السودان لنلتقي بأحد المهربين المحترفين العالمين بتضاريس الصحراء الفاصلة بين السودان وليبيا...

شعرتُ...وكأنما زيغا قد أصاب عيني. لشدة درجات الحرارة لفحت الشمس الحارقة

وجوهنا... ثلاث ساعات نسير تحت أشعتها نحمل حقائبنا وتغوص في الرمال أقدامنا

والعرق جعل ملابسنا تلتصق بأجسادنا فتزيد الحال سوء.

وصلنا لنقطة التجمع كل واحد
منا يحمل أحلاما وأماني وشريط من الذكريات القريبة البعيدة...
.كانت السويعات القليلة التي قضيتها بصحبة أهلي بعد أن خرجت من معتقلي الذي كابدت فيه عامين وأطلق سراحي (بعد اعتذار لتشابه الأسماء...) فهو خطأ وجل من لا يخطئ.
تلك الحجرة التي كنت أقطنها مع عائلتي الصغيرة أصبح إيجارها خمسة عشر ألفا... صاحب المكتب العقاري ذو الكرش المتدلية والرأس الأفطح لم تجدِ معه كل توسلاتي فيمهلني شهر واحد على الأقل ووجدت نفسي وكومة من اللحم نلتحف سماء وطني العزيز...
أقبلت شاحنة محملة بالبضائع قال ذو البشرة السمراء: هيا يا إخوان سننطلق. حشرنا في مقصورة خلف السائق ومضت تشق بنا الرمال الملتهبة. كنت أمنّي النفس بغفوة بسيطة فلقد نال مني التعب والتفكير والصداع يكاد يشطر رأسي نصفين. لا شيء من حولنا سوى اللون الأصفر...
الألف دولار التي استدنتها من الصائغ بعد أن رهنت عنده

جوازات سفر عائلتي سوف أرسلها له في أول فرصة بعد أن أحصل على عمل ومن ثم ستلحق بي زوجتي وأطفالي. توقفت الشاحنة، بكلمات قليلة همس السائق: انتهى دوري هنا بعد ساعة من الآن سوف يأتيكم رجلان بسيارة دفع رباعي يكملان الرحلة. وجدنا أنفسنا في العراء لا طير يطير ولا وحش يسير، كانت هذه الساعة هي الأطول في حياتي مرت وكأنها رجل يزحف بصدره العاري فوق زجاج محطم. لاحت من بعيد السيارة المنشودة، نزل منها شابان في مقتبل العمر يلبسان سراويل قصيرة وقمصان بلا أكمام، كانا قد أطلقا الشعر ورائحتهما نتنة (راهنت نفسي بأنهما لم يستحما منذ أكثر من أسبوع) جلسنا في الصندوق الخلفي وانطلقا بسرعة جنونية يطويان الصحراء الشاسعة والسيارة تقفز بنا وكأنها تسبح في المحيط. ذاك الرجل العجوز الذي كان معنا جاءته نوبة السكري على غفلة. فقد توازنه ليسقط من السيارة المسرعة. دبّ الذعر في نفوسنا ورحنا نطرق الزجاج الخلفي بقوة والرجلان قد أغلقا النوافذ ورفعا صوت المسجل ورائحة الحشيش تتسرب من المقصورة. تمسكنا بكل ما أوتينا من

قوة بحوّاف المركبة وبما تبقى لنا من شظايا أحلام. هبط الظلام ومعه برد الصحراء القاسي، توقفت السيارة وترجلا - هيا انزلوا، ستسيرون في خط مستقيم لساعة ونصف، هنالك اول قرية... شهق الرجل الذي بجانبي فزعا: أين؟! هنا... هذا ليس اتفاقنا! ضربه بأخمص البندقية على صدره وراح يكيل له الركلات والشتائم. كان المشهد مرعبا وتوقع الأسوأ كان أمرا واردا. همس ذو الشعر المجعد في أذن صاحبه كلمات وسرعان ما شدا وثاقنا تحت تهديد السلاح ونغز بالحراب. أخذا منا جوازاتنا وهواتفنا المحمولة، صرخ بي أين النقود تلعثمت ذعرا: يا سيدي أنا لا أملك شيء صدقني. وضع سلاحه في رأسي مقهقها هي طلقة واحدة الكذب حرام. أخرجت الألف اليتيمة من جواربي وكذلك فعل أصحابي الخمسة. كنا الخبر الأهم حين عثروا على جثثنا بعد ثلاثة أيام مكبلة!.

***

اعتراف

» تبادلنا الأدوار، صمت هو والجدران، فقبضت على عنق الكلام.«

أن تنام مستلق على ظهرك فهذا من أعظم الأماني، عندما كنت صغيرا كنت أسمع عناتر

العوام يقولون بأنهم ينامون محكوميتهم في السجن على جنب واحد دون أن افهم المقصد.

في تلك الزنزانة جمعتنا أحزاننا وهمومنا قرابة الخمسين رجلا في حجرة صغيرة.

هربت الحياة من أشباحها وعفونتها.

تتلاصق الأقدام والأنفاس لكل منا قصة أطول من صبرنا وأقسى من قلوب الظالمين.

كانت الكوة الصغيرة في الباب مصدر رعب حين يتسلل الصوت على هيئة حكم مؤقت ببداية التعذيب.

مع كل وجبة بائسة (مكونة من كسرات خبز وقليلا اللبن لا تكف لشخص نهم) كانت هناك طقوس خاصة، يرمى لنا

الطعام وكأننا دواب ويسحل أحدنا للتعذيب في نفس الآونة، فنسمع صراخه وعويله وتأبى نفوسنا الأكل والشرب.

كنت أستمع لأحاديث من حولي دون أي تعليق، وحده ذلك العجوز من أدمى فؤادي حين همس في أذني: يا بني هذه الكلمات أمانة في عنقك

لعلي لا أخرج من هنا إلا إلى قبري، أخبر من تبقى من أولادي بأني أحبهم

شحب لوني وبدأت أشعر وكأن أعماقي تتمزق، كانت وقع الكلمات مفزع جدا، قال بألم: لقد قتلوا ابني أمامي بكل وحشية وأحرقوا منزلي وتم ضربي في الشارع وأنا قد بلغت من العمر ما بلغت ولم تشفع لي شيبتي، ما ذنبي أنا لو هتف طفلي الصغير ضد جورهم وظلمهم ..؟! يا بني:(الجلدة الأولى أشد من الأخيرة)همس بها ولم أره بعدها أبدا!..

ضاقت نفسي وكأنما قد أطبقت على صدري جبال، لا أعرف كيف نستطيع أن نتقاسم الأوكسجين الموجود هنا، ذلك الموت البطيء ينتقي له كل يوم ضيف جديد

وددت لو أني كنت فراشة صغيرة أهرب من تلك الثقوب

فأطلق جناحي أعانق الشمس، أصافح الغيوم، أقبل شجر الزيتون، أرشف من الياسمين أنفاسا تغسل صدري من ذلك الصدئ المتراكم.

فتح باب الزنزانة وقف الجميع ووجوههم تقطر رعبا، نادى بإسمي اقتربت منه فعصب عيني وجرني أمامه للتحقيق.

»على الرغم من قسوة العصابة المشدودة على عيني، شعرت بخطوط وجهه تتساقط مع حروفي.

حين سحلت إيابا خارج الحجرة، سمعته يدمدم: صدق ذلك الوغد.

***

"جدار "

تقهقر خطوة للخلف، رفعت يدي ملوحا بالنصر الصغير.
كان يومي ككل يوم حافلا بالمفاجآت لكني شعرت بنشوة غريبة.
لم تكن تلك البطانية التي أغلق بها نافذتي ذات الزجاج المحطم، كفيلة بمنع دخول زمهرير الشتاء.
لكن ما باليد حيلة،
رفعت طرفها ورحت أحلق ببصري، الغيوم تملئ السماء وقطرات المطر تعانق أغصان الزيتون.
أصبح اليوم عمري ستة عشر عاما بالتمام والكمال، ينتابني شعور أحيانا بأني بلغت الخمسين منذ زمن طويل.
فأن تكون أبا وأما لأربع إخوة صغار هو أمر غاية في الصعوبة.
)لن أخرج من أرضي)هذا ما قاله أبي حينما أحاطت الجرافات ببيتنا القابع على مقربة من الجدار الفاصل.
ثلاث سنين لم نسمع عنه خبر منذ اعتقلوه

كنت دائما ما أشعر بالحزن عليه
فقد تركته أمي ورحلت إلى بارئها
حين ولدت أختي الصغرى، كانت هي الكوة الوحيدة التي يتسرب منها ضوء السعادة لأسرتنا، لكنها أبكرت جدا بالرحيل.
كنت أرافق إخوتي إلى باب المدرسة التي حرمت منها، لم يكن لدي خيار آخر أما ان أعمل أو نمد للناس أيدينا.
لا أنسى كلمات جارنا ذاك الرجل الحكيم الذي همس في أذني ذات يوم يا بني: إن لم تكن لقمتنا من فأسنا فلن تكون كلمتنا من رأسنا.
فرحتي حين أحمل في المساء إلى هؤلاء الصغار بعض الفواكه والحلوى فتشرق وجوههم بالسعادة لا يعادلها العالم أجمع.
طرق قلبي بشدة حينما سمعت أصواتا خلف المنزل، هرعت مسرعا، وإذ بعض الجنود ومعهم ضابط يضعون علامات ويرسمون بعض الخطوط.
صرخت بهم: اخرجوا من أرضنا أيها الجبناء. دفعني أحدهم بقوة فسقطت أرضا وهم يتضاحكون.

رحت إلى كيس قد جمعت في حجارة صغيرة وصرت أرميهم بها...

هرب الجنود وتراجع الضابط خطوة ووجهه يتقاطر سما.

ناديته: سيكون هذا الجدار ذخيرتنا وستهزمون.

***

توحد

صوت طرق خفيف على الباب أيقظني. لم أدر كم من الوقت غفوت بعد ذلك اليوم الشاق. كانت رحلة البحث عن غرفة للإيجار قريبة من الكلية، أشبه بالمستحيلة. لكن ذلك الماكر استطاع أن يؤمن لي سكنا في بيت تقطنه عجوز وابنها بعد أن أنقدته ثلاثة آلاف من الليرات عدا ونقدا.

نظرت في ساعتي إنها تمام السادسة صباحا مازال الوقت باكرا. فتحت الباب؛ كاد قلبي ينخلع لقد أفزعتني تلك العجوز كانت ذميمة، بعين واحدة، بوجه مكتنز وأنف أفطس بادرتني بتحية الصباح: هل أنت الساكن الجديد!؟

حركت رأسي أن نعم.

قالت: أنا حسناء أم جميل صاحبة هذا البيت.

كدت أن أطلق ضحكة عالية لولا أن حبست أنفاسي، همست محدثا نفسي ألم ير أبواها شكلها قبل أن يسمونها.!؟

راحت أم جميل تملي علي قوانين وأنظمة الحياة في هذا البيت وأنا أهز برأسي إيجابا

لولا رغبة أبي رحمه الله أن أكون طبيبا كباقي إخوتي، لما

اخترت هذا القسم مطلقا. كان حلمي أن أكون نجما في مجال الأدب والكتابة ولكن ما كل ما يتمناه المرء يدركه...
الجامعة عالم آخر تعرفت فيه على كثير من الأصدقاء بفضل روحي المرحة وأسلوبي في
التعاطي مع الجميع. وحدها (سيرين)من لفتت انتباهي وجذبتني لها بسحر غريب
هي مختلفة بكل شيء مثقفة ولبقة جميلة الطلة والحضور...
عيناها قطعة من ليل حالك وشعرها أطول من صبري في غيابها، الوجه بدر والطول فتان
نعم هي أنوثة متكاملة. قد أدمنتها وفتنت بها..
ذاك الشاب غريب الأطوار، كل الأمور تسير على ما يرام لولا ما حدث صباح هذا اليوم
(جميل لا يفارق نافذة غرفته المطلة على فناء المنزل الذي يقطنه مع أمه وكأنه مسجون بداخلها).
لطالما ألقيت عليه التحية لكنه لا يرد أبدا وكأنه لا يراني أو يسمعني
سمعته يحطم و يصرخ بصوت مقهور، فلم أتردد بالصعود إلى

غرفته...

فتحت الباب وكم كانت المفاجأة رهيبة، راح يدفعني ويقول اخرج أيها المتطفل وأنا أجول ببصري جدران الغرفة المملوءة باللوحات الرائعة والغريبة

أمسكت بكتفيه وقلت له من المبدع الذي رسم هذا !؟

قال وهو: ينتحب أنا.

أجلسته على كرسيه ورحنا نتحدث لساعات. على الرغم من أنه يشبه أمه كثيرا وكأنه نسخة عنها في القبح إلا أنه كان طيب القلب ومبدع.

معظم لوحاته غريبة، كانت الوجوه المرسومة غير مكتملة الملامح وبعضها نصف وجه إنسان ونصف وجه حيوان.

إلا لوحة واحدة كانت معكوسة لم أتمكن من رؤيتها وهذا ما أثار فضولي.

أصبح (جميل)صديقي أزور غرفته من يوم لآخر وأمه العجوز تستغرب تلك العلاقة التي تربطنا.

حدثت سيرين وبعض الأصدقاء عن قصة جميل ولوحاته الخرافية ورحبوا بفكرة زيارته في غرفته وقضاء يوم مختلف.

علنا نخرجه من حالته المتردية التي تزداد سوء يوما بعد يوم.
كان شعور جميل لا يوصف حين رأى أصدقائي فهي المرة الأولى التي يزوره فيها أحد. راح الرفاق يثنون عليه والسعادة تحمله بجناحين وتحلق به، دخلت أم جميل تحمل أكوابا من العصير البارد للضيوف.
استدارت سيرين لتأخذ نصيبها وحينما رأت أم جميل أصيبت للوهلة الأولى بالذعر فسقط من يدها الكأس وعم الموقف صمت رهيب.
خرجت أم جميل غاضبة وحزينة وانسلت من عيني جميل دمعة أفسدت كل ما حاولت صنعه وراح يصرخ في وجوهنا:
اغربوا عني وطردنا خارج المنزل جميعا
لم تنم سيرين تلك الليلة وهي تشعر بالذنب مما حدث على الرغم من أنها لم تكن متقصدة فقررت أن تذهب في الصباح لتعتذر من جميل وأمه.
فوجئت وأنا أهم بالخروج للجامعة بسيرين تقف عند باب المنزل، أخبرتني بأنها قد أتت لتعتذر عما بدر منها أمس ثم نمضي سويا.

تقبلت أم جميل الأمر بابتسامة ورحابة صدر ودعتنا لشرب القهوة فوافقنا سعداء بالفكرة.

لأول مرة منذ سكنت معهم في هذا البيت أرى نافذة جميل مغلقة ولا أدري لماذا شعرت بضيق في صدري لوهلة (لا بد أنه حزين ومكتئب، ما كان علي أن أتركه أمس وحيدا)هكذا كنت أحدث نفسي.

أمسكت بيد سيرين وصعدنا الدرج المؤدي لغرفته، طرقنا الباب كثيرا ولم يفتح.

دفعت الباب بقوة، جحظت عيني من المفاجأة وسقطت سيرين مغشيا عليها. فلقد كان جميل قد تدلى من مشنقة صنعها لنفسه.

وأمامه اللوحة التي كانت معكوسة وقد رسم فيها أمه ووقع تحتها(لن أسامحكم)

***

- الشروال

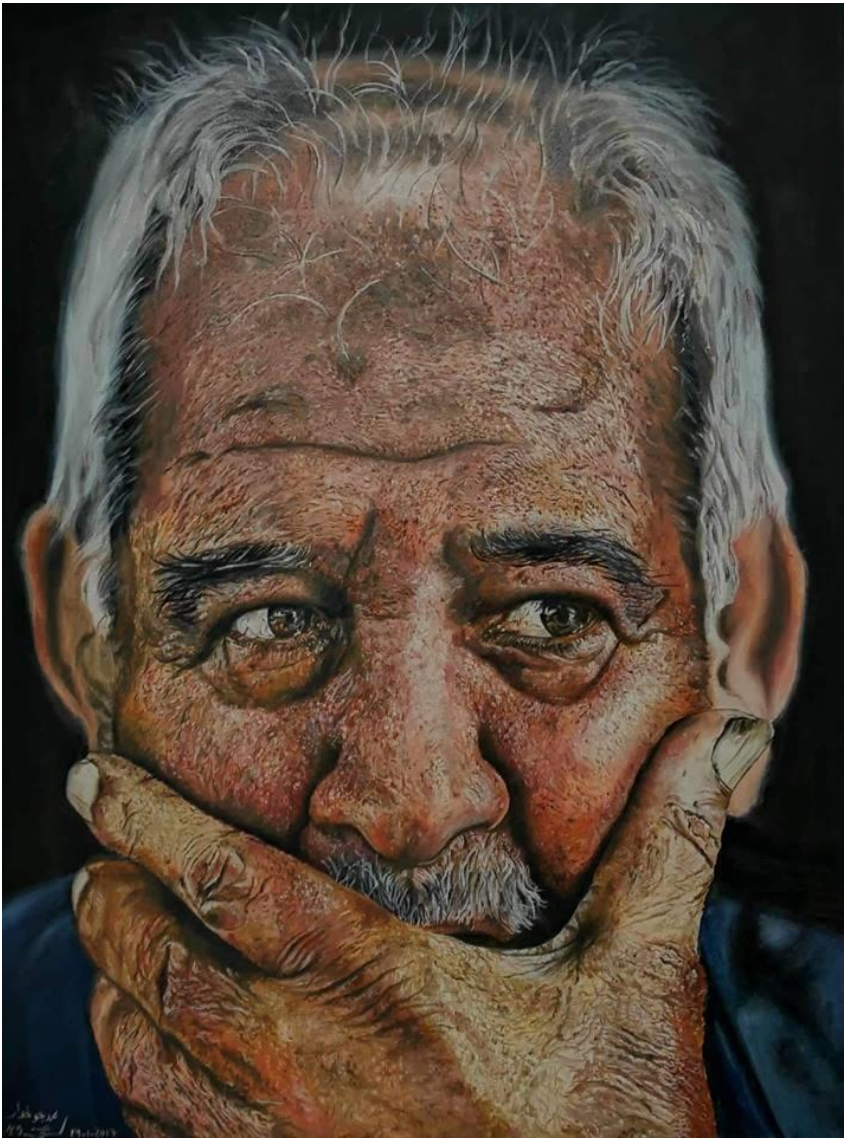

الشروال -

عمي عبد الحميد في عقده السادس، لم يقتنع بفكرة الزواج مطلقا، يعيش وحيدا، طوله الفارع أخذ نصيبا من عقله ونظارته السميكة سلبته نصف وجهه النحيف، وذاك الشعر المتصل باللحية أشبه بالصوف العتيق

كان من طقوسه اليومية أن يخرج قبيل الفجر يركب دراجته الهوائية متجها نحو الفرن الذي يبعد نصف ساعة ليحضر رغيفا من الخبز الساخن وقليلا من لبن الغنم

. !..

ذاك اليوم استيقظ فزعا ظنا بأنه قد تأخر عن موعده، قام مسرعا ارتدى ثيابه على عجل ولم يفطن في العتمة بأن شرواله معكوس...

بظهره المنحني ونظره الضعيف يشق الظلام قبل أن يسبقه أحد.

خرجت حافلة أبو الريح تقل العمال من الشارع المقابل، وفجأة يظهر ذاك العجوز أمامهم، حاول أبو الريح بشق النفس

أن يتفاداه ولكنه صدمه بطرف الرفرف صدمة بسيطة جعلت العجوز يسقط طريح الأرض وفوقه دراجته.

تعالت الأصوات من هنا ومن هناك

يا ساتر قتل الرجل....اسعفوا العجوز...مسكين والله .....إلخ

نزل أبو الريح والعرق البارد يرسم مأساة على وجهه، قم يا عم الحمد لله على سلامتك، بسيطة إن شاء الله، وبالفعل.

ساعدوه حتى وقف على رجليه والناس تهلل وتكبر فرحا.

أبو الريح: حمدا لله على سلامتك أمورك إن شاء الله تمام !.. عبد الحميد (بتذمر): اغربوا عن وجهي لا اريد أحدا هنا

بدأت الحافلة تتحرك ببطء وراح العجوز ينفض الغبار عن ثوبه، لكنه صعق حين وجد دكة شرواله من الخلف، ركض خلف الحافلة يصرخ كالمجنون، أموري ليست تمام...ليست تمام...لقد فتلتني بالعكس يا ابن الحرام

***

قبضة وطن

إنها تمام الثانية قهرا، حسب توقيت رصيفنا الذي نفترشه... لا شيء جديد يذكر، منذ صباح هذا اليوم البارد حتى هذه اللحظة. سوى بعض عبارات قذفها علينا بعض المارة. لم يعد لدي فلس واحد ومرغمة صباح الغد أن أبيع تلك الأقراط الفضية التي في أذني طفلتي الرضيعة، كي أتدبر طعام أبنائي الثلاثة وأباهم الضرير

نسيت أن أعرفكم بنفسي: أنا (أمل)مدرسة لغة عربية وأكتب لعدة مجلات وصحف... نزحت من بيتي الواقع على الشريط الحدودي مع عائلتي بعد أن دمر الطيران معظم قريتنا التي غدت قرية أشباح.

زوجي هذا مهندس جيولوجيا، نعم هو ليس ضريرا لكنه فقد بصره حين وقع انفجار عظيم في السوق.

لا أدر كيف هاجمتني حالة هستيرية من الضحك وأنا أحدث نفسي بعنوان مناسب لوضعي الحالي (الأديبة ملكة الرصيف) لن ينازعني أحد مملكتي هذه، ولو كان من أعتى المتسولين.

خشيت أن يستيقظ الأولاد على صوت ضحكاتي بعد أن

عييت بهم وأنا أخبرهم بأننا سنكون غدا بخير ونأكل أطايب الطعام.

تسلل البرد إلى عظامي وصفير الريح من خلال أبواب المحلات التجارية يعوي كذئب ذبيح.

أكوام من الأسئلة تثقل رأسي المتعب، كيف....متى....أين ! لا إجابة

ستشرق الشمس وأنا لم يغمض لي جفن، لماذا تجهمت لنا الوجوه وصرنا أغراب بين بني ؟!جلدتنا

؟!أيعقل أن لا أجد وعشرات الأسر سوى الأرصفة والحدائق سكنا

هههههههههههه لا يخطر في بالي سوى الشعارات التي كنا نرددها ونحن صغارا،(بلاد العرب أوطاني وكل العرب إخواني ...أمة عربية واحدة) ما هذا الهراء !؟

أنا لست مع أحد ولا ضد أحد ولا أنتمي لأي تيار او حزب أو جماعة ومئات الألوف مثلي، ألا يحق لنا بربكم أن...

سيارة للشرطة تقطع حبل أفكاري...

يترجل منها ضابط وعدة جنود معه، همست في نفسي لقد

جاء الفرج ..

اقترب الضابط مني قائلا: ماذا تفعلون هنا يا امرأة؟

ابتسمت قائلة: نحن هنا منذ أمس ولا مأوى لدينا نحن من...

صرخ في وجهي مقاطعا: خذي هذا العجوز الخرف وهؤلاء الحيوانات وإلا سجنتكم بتهمة التسول ...هيا لقد ضجرنا وقرفنا من أمثالكم.

نظرت به وبكاء الأطفال فزعا يملئ الشارع وزوجي يبحث بيديه عن حذاءه

:وهو يتمتم

يا سيدي المحترم الأيام دول(

حملت عفشي الذي هو قطعة كبيرة من الكرتون وباليد الأخرى أجر زوجي الضرير و أبنائي،)

وصوت فيروز الذي سمعته في الحافلة التي أقلتنا يوم تركنا قريتنا لا يفارق مخيلتي

(راجعين يا هوى راجعين)أسأل نفسي: هل عاشت فيروز نصف ساعة من القهر الذي عشناه لسبع سنين.

عند أول محل صياغة وقفت كي أبيع القرطين همست لزوجي

أن يعطيني طفلتي التي يحملها باليد الأخرى.

!. على طاولة الرجل كانت الطفلة مجمدة الأطراف لا تتحرك

دمعت عيني الرجل قائلا: البقية في حياتك يا خالة.

***

تحت الخط

أخبرتها مرارا وتكرارا بأني لا أحبها، لكنها كانت تصر على انتظاري كل صباح

باسمة المحيا، حين فقدتها، رحت أجمع لفافات كنت أرميها خلف ذلك السور

انتهيت إلى زاوية خلف سور المدرسة، وضعت تحتي كيسا من البلاستيك كنت قد جمعت فيه كتبي ودفاتري. جلست أنتحب دون دمع. ماذا عساي أن أقول لهم في البيت...!؟

لم أجد تفسيرا مقنعا لكره تلك المعلمة لي رغم أني من المتفوقين، إلا أنها دائما ما كانت تطاردني بنظرات الاحتقار.

سحبتني اليوم من أذني معنفة.

ما هذا الهندام الذي ستظهر به أمام كاميرات مديرية التربية في حصة نموذجية سيتم عرضها على شاشة التلفاز !؟ ثم ما هذه الصدرية القصيرة الأكمام، وهذا الحذاء الكبير أهو لوالدك...!؟ كانت كلماتها تحفر في وجداني كأنها خنجر مسموم.

وضعت يدها على رأسي بقرف قائلة لماذا تحلق شعرك صفرا

ألا تنظر في المرآة أبدا...!؟ أخرج واجلس في ساحة المدرسة... لا مكان لك اليوم في الفصل.

نزل عصفور ليشرب من بركة صغيرة كانت أمامي شعرت بأنه يعرفني تماما، اقترب مني صار يبتسم لي أخبرته بأن لا ذنب لي كوننا فقراء، صدريتي الصغيرة كانت جيدة لكنني كبرت خلال عامين، والحذاء نعم هو كبير(كانت قد تصدقت به جارتنا علي حين توفي ولدها رحمه الله بالسرطان).نحن لسنا مثلهم نقص شعرنا كل أسبوع ونضع مصففات الشعر والعطور.

نظر العصفور بحزن وأنا أتأمل ابن المستخدم (أبو زياد) إنه يرتدي سترة جلدية جميلة ويجلس جانب والده إلى مدفأة وأمامها ذاك الكعك الساخن ذو الرائحة التي ينفطر لها قلب أمثالي. دسست أصابعي في جيبي فخرجت من الطرف الآخر...! ليتني أملك اليوم ليرة لكنت اشتريت واحدة...(ما علينا)أخرجت لفافة الزعتر التي كانت أمي تجبرني على أكلها كل يوم رغم أني أخبرتها بأني لا أحبها أو أنني مللتها لكنها كانت دائما تبتسم وتقول: لا تتذمر يا بني فتزول عنا

نعم الله.

شحب وجه السماء تسارعت قطرات المطر، ركضت أعبر الشارع عائدا لبيتي فانزلق الحذاء الكبير من قدمي انحنيت...التقطته، ولم أفطن لتلك السيارة المسرعة التي صدمت جسدي النحيل بعنف.

شعرت بخفة روحي كان المشهد من فوق أمتع، لقد تجمهر الناس والتلاميذ حول جثتي، أضم بقبضتي الصغيرة لفافة الزعتر

لمحت معلمتي تضع كفها على عينيها وتتمتم بكلمات لا أسمعها جيدا.

فوجئت بيد حانية تربت على كتفي التفت فكانت أمي التي توفيت منذ عامين، ضمتني لصدرها وحلقنا عاليا.

***

قيد من حبر

» قيد من حبر«

لليوم الرابع يوقظني ذلك الكابوس فزعا. تلك العرافة المزعجة هي السبب بالتأكيد. ظلت تتبعني حين خرجت من المنزل صباحا، وهي تحاول أن تقنعني بقراءة كفي وأنا أخبرها بأني لست من أولئك الذين يؤمنون بالخزعبلات وهذا الكلام التافه.

لا أدري كيف سلبت عذرية كفي وأنا أحدق في عينيها وشفتاها تتمتمان بكلام خلط الماضي بالحاضر، معرجا لمستقبل مريع.

الضيق يملأ صدري صباح هذا اليوم أيضا..! أشعر بالاكتئاب لدرجة الثمالة. لن أخرج للعمل فلست بحالة جيدة أبدا، أشعر وكأني أكره كل الناس. أقفلت هاتفي النقال ورحت أعد فنجان من القهوة. مكتبي الخاص نموذج حي للفوضى والضياع، أوراق متناثرة هنا وهناك فناجين قهوة، علب سجائر بعضها فارغة وأخرى ممتلئة...

خرجت إلى شرفتي الصغيرة، كان الطقس مائلا إلى البرودة

وقطرات ناعمة من المطر تداعب أوراق الشجر. نافذتها مغلقة مذ علم أهلها بقصة حبنا، وليلى ماتزال حبيسة بين دموعها ونافذة كانت بمثابة كوة أمل...

طرق خفيف على الباب أعادني لواقعي المحزون

كان الباب مفتوحا، وإذ برجل عليه سيمة الوقار والهيبة...

بادرني بتحية الصباح وملامحه تنم عن انزعاج ملفوف بشفقة:

- صباح الخير يا أستاذ كيف حالك اليوم؟

؟! قلت له: صباح الخير يا سيدي تفضل بالدخول، هل من خدمة أسديها لك

قطب الرجل حاجبيه ممتعضا وقال: لا حول ولا قوة إلا بالله.

يا أستاذ أنا عدنان مالك هذا البيت وأريد الأجرة لقد سئمت من هذه الحال.

شعرت وكأنما مطرقة قد هوت فوق رأسي، أطرقت خجلا وقلت: آسف جدا للتأخير لقد كنت في الأمس مع أحد المنتجين واتفقنا على أن يشري إحدى قصصي بسعر معقول.

لا ت....

قاطعني الرجل غاضبا: يا أستاذ أي منتج وأي أمس أنت ومنذ أكثر من شهر لم يزر أحد ؟! بيتك، وعليك إيجار متأخر منذ ستة أشهر عدا حساب الدكان

راح يجمع أوراقي المتناثرة على الطاولة وهو يصرخ ألما: أنت مريض يا أستاذ وحالتك تسوء يوما بعد يوم.

لا أدري كيف وقعت عيني على حروف في إحدى الأوراق وقد كتب فيها عن عرافة وكف

وما إلى ذلك.(لقد كانت العرافة جزء من أحد رواياتي)

وضعت يدي على كتفه ووعدته بدفع الأجرة في أقرب فرصة ممكنة.

جلست أحدق في سقف الغرفة وأحدث نفسي: أتراني مريض حقا !؟ كلما ذكرت حبيبتي ليلى وكيف حرمني منها تكبر أهلها اشتعلت غضبا وقهرا. لن أتخلى عنها ولو كلفني ذلك عمري كله.

دسست سكينا من المطبخ بين ثيابي وركضت نحو بيتها في العمارة المقابلة.

رحت أطرق الباب بعنف والشرر يتطاير من عيني. لكن

أحدا لم يفتح الباب.

خرجت عجوز من الشقة المقابلة وراحت تهدئ من روعي، وانسلت منها دمعة. وأنا أصرخ: أريدها رغم أنف أهلها.

: همست العجوز بصوتها الحزين

!ما زلت يا بني على حالك هذه

كل يوم تطرق هذا الباب المغلق

رفقا بنفسك يا عزيزي هذه حال الدنيا، لقد ماتت زوجتك ليلى وأهلها في تلك الغارة منذ سنة، وأنت دفنتهم بيديك وفي كل يوم تعاود نفس المشهد.

لم تحملني قدماي جلست أنتحب...

والناس قد اجتمعت من حولي.

في المساء أحضرت كرسيا وحبلا غليظا من الليف شددته إلى حلقة حديدة في السقف

هذه آخر رسالة سأكتبها قبل أن أودع دنياكم.

في الصباح دفع(عدنان صاحب البيت)الباب فوجده مفتوحا كعادته والحبل معلق والكرسي تحته...

تململ (عدنان) وهو يوقظني وأنا أغط في نوم عميق على

مكتبي

وهو يقول: من أين تحضر هذه الحبال كل يوم أيها الأديب الأحمق!؟

»الرحلة الأخيرة«

-ماذا تبيع اليوم يا لبيب؟

-أأأ أبيع الهواء.

إذا اعطنا بالدينار كله. -

تضاحك الشبان وانا أنزل من فوق رأسي سلة فارغة وأملأ لهم جيوبهم بلا شيء

!.....

قبضت بشدة على الدينار وأخذت سلتي أهرول سعيدا، تلاحقني بعض تعليقاتهم، منها

الساخرة والأخرى المتعاطفة (مسكين ذاك الطفل المارد)

كنت طفلا كبيرا، لا أعرف من أنا لكن جميع أهل هذه البلدة يطلقون علي اسم

لبيب أسكن في المقبرة ولم أكن أجد سببا مقنعا لرهبة الناس من هذا الأمر.

أهتم بالقبور واسقي الورود

منهم من يعطيني نقودا ومنهم من يحضر لي طعاما.
أم أيمن بالأمس أعطتني كل ثياب ابنها المتوفى لكنني شتمتها فهي لم تحضر لي حذاء !ألبسه.
فحذائي ضيق جدا وتخرج منه اصبعي الكبرى. ما علينا كل شيء هنا على ما يرام، ولكن أكثر ما كان يزعجني هو هؤلاء الصبية الأشقياء.
كانوا دائما يركضون خلفي وينعتوني ب(لبيب الأهبل)ويهربون حين أتوقف لمواجهتهم.
أخبرني العم (غسان) صاحب محل البقالة بأنه سيأخذني معه في الغد إلى المدينة لنشتري بضاعة لمحله وأساعده في تحميلها و أنتظره عند عربته حينما يكون هنا أو هناك.
سعادتي لا توصف وأنا أجلس في العربة أمد رجلي وأراقب غياب البلدة عن ناظري رويدا رويدا.
المدينة جميلة جدا مزدحمة بالناس، والسوق تغص بالبضائع والمأكولات الشهية

تأخر العم غسان كثيرا، فأصابني الملل والجوع وقررت أن أتمشى قليلا ضاربا عرض الحائط وصاياه.

مشيت كثيرا كثيرا.

غابت الشمس ولم أعد أتذكر مكان العربة. لقد ضعت!؟

وقفت عند باب مطعم ورحت

أتناول بقايا لفافات تركتها بعض الزبائن.

في ذاك الشارع لمحت وجها أعرفه تماما...نعم تذكرته.

ركضت خلفه حتى دخل في شارع مظلم. فوضعت يدي كتفه وأطلق شهقة عظيمة وهو يحدق بي...

(لايزال صراخ ذاك الطفل يمزق أحشاء الظلام، وجراح أمه النازفة من أثر السياط تطاردني.

كأنهما شبحان فلا يفارقا أحلامي.

الليلة فقط أنام قرير العين في زنزانتي، حين عثروا على جثة زوج أمي مطعونا بخنجري).

***

»حفنة ألم «

فتحت النافذة متذمرة.

- لما لا تفهمني يا صغيري والله قد ضقت ذرعا إلى متى ستبقى على

هذه الحال !؟ أطفأت سيجارتي وخرجت من البيت دون أنبس ببنت شفة

هائما على وجهي أمشط أرصفة الطرقات، وأحدق في وجوه المارة

لا أدري كيف تعصف برأسي هذه الأفكار الغريبة

أحلم بأن أكون طيفا أدخل في رؤوس الناس أبحث في خفاياهم كيف يسعهم الابتسام والفرح

أنا لا أذكر بالضبط متى آخر مرة كنت فيها سعيدا.

منذ فقد أخي التوأم في تلك الحادثة المروعة، وأنا أمثل شخصيتين في كل يوم. كي لا تشعر أمي المسكينة بغيابه.

صحيح بأننا قد نختلف في بعض تفاصيل أخلاقية إلا أني

أحاول أن أشابهه

.أنا لا أدخن ولا أصدقاء لدي وأكره الشجار والمشاكل.

ولكني أجبرت عليها، وكذبت عليها حين أخبرتها بأننا نعمل في ذلك المصنع حيث نتناوب هناك اثنتي عشرة ساعة، فلذلك لا نلتقي معا

.لا أدري ماذا يجول في بال أمي العجوز.

أحيانا كانت تنظر لي بريبة وتسألني ....فأحاول التهرب منها

حزين أنا تأكلني وحدتي، ومحال أن يكون هنالك شخص واحد في هذا الكون يشعر بما أعانيه.

أنا عاطل عن العمل،

قد صرفت ثمن سيارتي والأمور تزداد تعقيدا وسوء

وقفت أمام المقهى وسرعان ما خرج الرجل البدين ذو الملامح القاسية وهو ينفث سما صرخ بي : ها ...هل فكرت بالأمر !؟ نكست رأسي إيجابا قهقه قائلا: هذا القرار السليم، خذ

تلك الحقيبة وأوصلها إلى السيد (زهران) وعد على الفور

لتأخذ نصيبك، وإياك أن تراودك نفسك وتنظر ما تحتويه

أنا أعلم بأن هذا الرجل شيطان، ولكن لست أدري ما يبع وكيف كان أخي يعمل معه. أخذت الحقيبة وركضت أعبر الشارع، وإذ بسيارة مسرعة تصدمني بعنف ليطير جسدي ويرتطم بالأرض وأنا أسمع صياح الناس

أشعر بأن أطرافي محطمة تماما ولا أستطيع الحراك...

لا يهم ذلك الأمر قلت في نفسي

(كيف سأرقد في المشفى وكيف ستعلم أمي بالخبر ومن سيمثل دور أخي التوأم و...)

خنقتني الدموع ورحت اصرخ قهرا وألما.

على جانب السرير كانت إحداهن تتحدث بصوت خفيض، وهي تنتحب بعد أن أعطاني الطبيب حقنة مهدئة: يا حضرة الطبيب حالته تسوء أكثر...

.منذ قتل أبيه وعمه في تلك الحادثة الفظيعة عندما انفجرت سيارتهما بحقيبة مفخخة، وحالته هكذا أخشى يا سيدي أن يفعل بنفسه شيئا أنه يخترع قصصا غريبة ويحدث نفسه، إنه مصر على أن له أخ توأم.

هل جن ابني الوحيد أيها الطبيب.

رفعت رأسي ورحت أصرخ بها: أخرجوا من هنا انا عاقل أنا عاقل

.... هز الطبيب رأسه

آسفا خارجا من الغرفة

ودموع أمي تكاد تحفر في وجهها أخاديد.

قصص قصيرة جدا

1- تَهَتُّ

دس بخبث سمه في رأسي؛ قتلت أخي.

استلقى الجهل على ظهره يضرب بقدميه مقهقها. حين صرخ طفل في المهد

- ألستم أمة(اقرأ)!؟

تنفس الصبح الذي في سورة التكوير.

2- مذكرات

جلست بزينتها على مقربة مني تنتحب وتتمتم بأسى: لقد دفعت ألوف الدنانير لعلاجه لكن إهمالهم حرمني منه للأبد. خفت وطأة حزني ودموعي على طفلي المتوفى، رحت أواسيها. همت بالمغادرة، اعتذرت قائلة: حزني على (كلبي) أنساني أن اسألك عن سبب دموعك أنت أيضا...!

3 -اِنْسِلاَخ

فوجئ الذئب حين تلاقينا في ذاك الكهف، مكث على مقربة. راعه تحجر ملامحي. لاطفني على مضض، وثبت عليه، قبل أن يفطن لجثة أخي تحت قدمي.

4- عوان

أتكئ على خاصرة الوجع بقربهما. صقيع الصمت يحاصر زوايا الزنزانة، أعتصر مفرداتي لأروي لطفلها حكاية قصيرة. الطفل المولود داخل السجن يسألني بتعجب يا خالة: ما العصفور والشجرة؟!

5- عزاء

أودعني برفق حفرتي. شعرت بأن الكفن ضيق قليلا. قام على قبري بمرثية عظيمة، تغمدوني بدعاء عريض،
في خيمة العزاء قبض أجره كاملا دون أن يسلمهم فاتورة الكفن.

***

6- فصيح

أشار لي بطرفه لأرتقي المنبر، دس في جيبي وريقة صغيرة، ارتجلت مشهدا، تلونت الوجوه. بعد العرض اقتلعوا أظافري للذكرى.

***

7- تدليس

دفعني نحو الخشبة، تلون وجهي.
صمت الحضور هنيهة.
أذهلهم وقع خطواتي، وعلى الرغم من أني لم أنبس ببنت شفة، صفقوا لي بشدة.
عند الباب الخلفي سحلت كشاة جرباء.

8- بؤرة

اشترط كل منا شرطة للموت. أذن مؤذن بيننا، زفر الخط الفاصل، حين اكفهر وجه السماء، نأت طير أبابيل بنفسها.

9- إلحاف

ارتسمت السكينة على وجهي، عندما تصدقت بالخمس دنانير اليتيمة في جيبي، على تلك العجوز عند باب المسجد. في المساء جلسنا نحصي الغلة سويا.

10- مظاهرةٌ

هرعت إلى شرشف أبيض على سريري، دونت عليه عشرات الشعارات. في عتمة الليل انتعلت حذائي معكوسًا، قبل أن أصل ساحة الحرية، وجدت امرأة وأطفالها يفترشون رصيفًا. ألحفتهم بمطالبي محاولا ستر عورة أمة بأكملها.

11- طموح

اتخذت العنكبوت من شهاداتي الجامعية بيتا، ولازمني اكتئابي كضيف ثقيل مقيت. في جريدة الصباح فرصتي حلقت بجناحين (مربي براتب جيد مع الإقامة والطعام) عند مدخل القصر نكزني ذلك السمسار لأقدم التحية.

مددت يدي؛ صافحني!

همست في نفسي مبتسما (أشكرك أيها الكلب).

12- «خواتيم»

تلاقينا تحت مظلة سوداء، سقطت خطوط وجوهنا، ألقى حباله؛ نزعت يدي. عوت الذئاب من حولنا، ضرب الغراب كفا بكف.

13- « دسر»

لا يكتمون انفعالاتهم و إعجابهم حين أخرج عن النص.
برغم كل الأختام المهورة على جسدي، لكني أؤمن بما أعمل.
في العرض السابع على تلك الخشبة، انفجر المسرح بالتصفيق
حين تدليت متأرجحا من مشنقتي، لحظة وطئت الكرسي...
!..

14- تعويض

على منصة التكريم، علقت على صدري الأوسمة، بعد أن
فقدت ذراعي في مهمة تفكيك الألغام. دعوة الناس للحب
والتسامح أضحت شيمتي
.حين أهداني القائد أذرعا صناعية،
رحت أضرب الملأ في الطرقات !

15- أرجوحة

دس يده في جيبه، غارت أصابعه في هاوية، رأب الصدع بات محال، نام الصبية... والجوع يعضهم
شد حبله ليلا!

16- مظلة

أعمل مطرقته؛ صمت الحضور نادى شهوده بالترتيب أذهلني تواطؤ أقوالهم، أيقنت بأني مدان لا محال، تفقدت أجزاء جسدي المبعثرة منذ سبعين عاما، وأكملت غفوتي
..!

17- «غصة»

جمعتهم أمامي بعد سبع عجاف
.راح لساني يؤنبهم، بح صوتي ألما، كدت أختنق، استدرت على كرسي المتحرك فتحت النافذة. عصفت الريح لتبعثر صورهم من خلفي.

18- «مخاض»

هرولت مقبلة مدبرة، خارت
قواي و آمالي.
.استصرختهم علهم ينجدوني
نفضوا الأكف.
بعد سبعين دمعة، ولدت يتيمة
!..

19- محيص

ركض أمامي مدججا، قهقهت منتصرا
على الرغم من ثقل ذاك الكيس الذي أحمله وصغر سني، كان أجبن من أن يواجهني. ناديته: ذاك الجدار سيكون ذخيرتنا.

20- ذات.

وقف الوزراء بين يدي صاغرين، بعد أن أقسموا جهد أيمانهم بالذود عن القطيع.
غطى عدلي حتى الغمام. رفعت الرايات من المحيط إلى المحيط.
صباحا صفعتني أمي
متذمرة كعادتها من تبولي اللا إرادي
..!

21- أطلال

جثى الزير يبكي كليبا في مقهى أبي حاتم. طالبت الزباء بلم الشمل على عجل، اشتد غضب ملوك الطوائف، فقطعوا كف (الإدعشري)
حين ولدنا قسرا من الخاصرة، ضربت أسماك القرش بأيديها على بطونها.

22- فقاعة

سرنا ذلك اللباس الأنيق والأحذية المريحة. أخضعنا المدرب لدورات متتالية، ركز على النظام الغذائي، أقحمنا بكامل عتادنا في أول مهمة. ضحكنا حزنا حين وقعنا خلال دقائق في الأسر
...!

23- «صرف»

عكفنا لوضع اللمسات الأخيرة، بينما كان يراجع مقدمته، كنت أنظم تسلسل

قصصي

اقتحم عزلتنا طفلي الصغير بكراسه: أبي كيف تكتب)

(تواطؤ

انقلب الأديب على ظهره مقهقها، ألا ترى بأن كل كتاب أبيك لا يحوي همزات.

24- «حكايات عالمية»

لامتني بائعة الكبريت لأني تأخرت، فقد كانت سالي تنتظرني لأحضر النسر الذهبي ونطير إلى حبيبها صاحب الظل الطويل حيث ينتظرها هناك قرب بحيرة البجع.

هرعت فزعا حين ابتلعت النار المخيم، كان طفلي ما يزال هناك يحتضن بعمق صندوق العجائب.

25- «دهر»

أراح كفه، أثقل كاهلي.
استدار على غير هيئته، فما عرفته.
حين سقطت شامة كانت على خدي،
ظهرت ندوبهم عارية، صرخ وجهي، ران الصدى.

26- نجوى

يحدق بي بدهشة، تنتابني القشعريرة.
آوي إلى ركن، تلاحقني شهقاته. تلامس أنفاسه رئتي. تنساب
من عيني دمعة، فتبلل صورته
وبقايا جدار.

27- بوح

تعانقنا برهبة حتى تلاحمت أضلعنا،
أشارت بالعيون عن ما ضاق به صدرها، عجزت أن أرفع كفي لأمسح دمعتها.. كان المشهد أسطوريًا، حين رُفعت الأنقاض من فوق جثتينا.

28- مثقف

يشير إليها بسباته الملتوية، يزبد ويرعد. يطبق الصمت عليهم مرغمين، وحده عامل البوفيه ينفجر ضاحكا. لو كان معي نقود لاشتريت شهادة مثلك
يا دكتور
..!

29- مغترب

وخزني بابتسامة صفراء حين أمسك بي من حزامي، لم تشفع لي بدلتي الرسمية، وبضع شعيرات بيضاء في لحيتي، ذاك التفتيش الذاتي أعاد لمخيلتي صورة خروف العيد، تمتم صاحب الوجه المثلث ساخرا

التالي...

!.

30- عودة.

أطل برأسي من نافذة السبعين، يجذبني أحد احفادي لأروي له عن جرحي تفاصيل، حين

أخرسني الدمع؛ علم ذاك الطفل بأن العندليب قد كذب على فيروز.

31- مبادئ

أسترق السمع ممتعضا، أمد أصابعي أتلمس الحافة لعلي ....
أراهم، تجلدني سياط ألسنتهم، أرفع غطاء صندوقي المحدب
وألعنهم
.!

32- (مَعَرَّة)

يجول ببصره نواصيهم الكاذبة، ترتعد فرائصهم ذعرا منه وهو
مقيد، حين سحب الكرسي من تحته، تدلى مبتسما يرفع
سبابته يوم النحر
..!

33- وطن

تأبط حزنه وتولى، حين داسته الذكرى ولى مدبرا، لم يجد سوى حطام مدينة، جمع بعضه ، ناداهم سيتنفس الصبح الذي في سورة التكوير.

34- موهوب

نظرتي فيه كانت صائبة ، أصابعه كما يقال تلف بالحرير، علمته أصول الصنعة، كبر قليلا أهداني نعشا من صنعه.

35- خذلان

على وقع أقدامهم ضبطت توقيت الوجع، حينما فتحت تلك الكوة التي في الباب، تسلل
الرعب على هيئة صوت، أطالع وجوه من معي بألم، تشدني جدران الزنزانة للخلف.
أمام المحقق كنت جسرا عبروا عليه جميعا.

36- نون

بين قوسين ودمعة ترك وصية، على مسافة شهقة، تكالبوا جشعا لدفنه، حين غدوا على
حرثهم، راعهم الهشيم
..!

37- جدران.

رمقتني بحيرة، أراحل أنت !؟ وانفجر السؤال ليمزق جدران حجرتي المظلمة. انتزعت حقيبة أيامي من يدي وراحت تبعثرها. أحلامي...أشواقي...آمالي لم يبق سوى صورتها في قعر الحقيبة
..!

38- (حمى)

قهقهت حتى تمزقت أشداقي، رحت أدق الأبواب وأهرب. خلعت قميصي لوحت لهم به. تلويت كثعبان مفترس. حين كانت زوجتي على طرف السرير تضع لي كمادات باردة لم أفق
..!

39- مقصد

هزني بشدة فسقطت خطوط وجهي، صفق حينها الملأ تبجيلا للطاغوت، انحنى طفل وناولني شامة كانت على الخد؛ حين سجد الهلامي المزعوم أمام سيده لم يكن عليه شهود !..

40- تراث

تهامسوا بينهم حين أنقدوه بضع دراهم، غنموا بخبث منه سيف الفاتح العظيم، أشار لصبيه
في عقبهم أحضر آخر من المخزن.

41- حلم.

مللت من لعب الأدوار الثانوية المتشابهة، أعوام تمضي وأنا مسمر في نفس اللوحة، لم أدرك سبب إصرار كل المخرجين، على تقميصي دور الشرطي الغبي، عزيمتي وطموحي أكبر من ذلك بكثير، خرجت الشارع، عايشت الواقع، صقلت موهبتي، تطوعت في الشرطة.

42- سداسية (أوطان)

أوطان **1**

همسوا للخراف بتعويذة، خرجت جموع القطعان غاضبة، حاصرتها الذئاب من كل حدب وصوب، وطئت الرايات فاصفر الربيع.

أوطان 2

دس بخبث في جيبه كل ما جمعته، بعد أن نفث كثعبان في رأسي الفكرة، لم أعترض ساعة حشرنا كالقطيع. كنا الخبر الأهم حين عثروا على جثثنا.

أوطان 3

راقب أنفاسي، هزني بشدة، قفزت كل الناس .لم يتبق سوى صورة زوجتي و أطفالي على المركب. همس في أذني أنت في سجن خفر السواحل

!..

أوطان 4

حملتها برفق جاهدة أن تعبر بها آخر مرتفع، سعالها الجاف مزق أحشاء السكون. الدمعة الأخيرة سقت تربة القبر.

أوطان 5

تنازعوا أمرهم بينهم ذات قسمة. تصادمت أنيابهم في الطريق بجسدها، بكت أغصانها بصمت، نزعوا عنها حجابها، بدت عوراتهم.

أوطان 6

حين وضع إصبعه على جرحي، أظلمت الخريطة. عييت الوصف لطفلي الأجنبي عن السبب، ابتسم الحزن حين صادفني في مدرسة الكهول

!..

***

43- ديموغرافيا

في زيارتي الأخيرة للمقبرة، وجدت أبي يجلس جانب شاهدة قبره،
ينظر في ساعته منزعجا،
وضعت أمامه خارطة (الإدريسي)، لمعت عيناه،
بش وجهه لوهلة، فأخرج من جيبه قلما وأعطانيه
نكست رأسي وأنا أخربش عليها بالأسود.

44- ربيب

لايزال صراخ ذاك الطفل يمزق أحشاء الظلام، و جراح أمه النازفة من أثر السياط تطاردني...
كأنهما شبحان فلا يفارقا أحلامي..
الليلة فقط أنام قرير العين في زنزانتي،
حين عثروا على جثة زوج أمي مطعونا بخنجري.

45- توازنات

ضاقوا بي ذرعا فصبغت باللون الأزرق، فاضت أوعيتهم المقدسة بقلوبنا المجتثة، تمردت على آلهتهم ذات موت، بزغ من بعدي فجر جديد.

46- زقاق البؤس

بيدي أتلمس آذان جدرانهم، جدتي كانت توسوس لنا بحكاية الغول الأبدي، حين تراكم الوهم الجاثم في الازقة، تكاتفوا عبثا لترميم الألسن..!

47- مسقط

عزفي المنفرد أخرج أضغانهم. تمايلوا سخطا، على ذاك الرصيف تهامسوا، حاولوا ملئ قبعتي بفتاتهم، حين أسقط في أيديهم، اجتثوا حنجرتي تخليدا لشخصي...!

48- (لحظة)

على مسافة شوق ودمعة، لمحتها بمرآة اليمين، قفزت ملامحها لتجلس بجانبي، طوقت رائحة عطرها المكان، داعبتني بنظرة عتب. عند أول منعطف توارى الحلم...!

49- فقد

«أخبرتها مرارا وتكرارا بأني لا أحبها، لكنها كانت تصر على انتظاري كل صباح، توفيت أمي ،رحت أجمع كل لفافات الخبز التي كنت ارمي
بها خلف ذلك السور.»

50- هوية

غرفة نوم زوجية لم تستخدم للبيع، تلهفت للاتصال بذلك الرقم المرفق. صفعتني الدهشة...! هو صديقي الغائب منذ سنتين، أخبرني أنه قد أصبح يدعى ب (سمر).

51- تحقيق

تبادلنا الأدوار، صمت هو والجدران، قبضت عنق الكلام.
على الرغم من قسوة العصابة المشدودة على عيني، شعرت بخطوط وجهه تتساقط مع حروفي.
حين سحلت إيابا خارج الحجرة، سمعته يدمدم: صدق ذلك الوغد...!

52- شَجَا

أدمنت صليل الصوارم، وروضت العاديات.
وشمت الأيام على جسدي مئات الطعنات، فلم أبال.
حين أتاني ملك الموت طالبا، لقيني ممدا على سريري.

***

الفهرس

الإهداء... 5

مقدمة 6

قصص قصيرة:

قارب عند منتصف النهاية 11

تجاعيد 15

فاطمة 18

يوميات مهرج 21

لحظة 26

"تضاريس وجع" 32

"جدار " 39

توحد 42

قبضة وطن 50

تحت الخط 55

»الرحلة الأخيرة« 64

»حفنة ألم« 68

قصص قصيرة جدا:

1- تَهَتُّر..... 73
3 -اِنْسِلاَخ 74
4- عوان 74
5- عزاء..... 75
6- فصيح 75
7- تدليس..... 76
8- بؤرة..... 76
9- إلحاف..... 77
10- مظاهرةٌ..... 77
11- طموح 78
12- «خواتيم»..... 78
» دسر« 13-..... 79
14- تعويض..... 79
15- أرجوحة..... 80
16- مظلة 80
»غصة«17- 81
»مخاض«18-..... 81

19- محيص..... 82

20- ذات..... 82

21- أطلال..... 83

22- فقاعة..... 83

»صرف«23-..... 84

»حكايات عالمية«24-..... 84

»دهر«25-..... 85

نجوى 26-..... 85

27- بوح..... 86

28- مثقف..... 86

29- مغترب..... 87

30- عودة..... 87

31- مبادئ..... 88

)مَعَرَّة(32-..... 88

33- وطن..... 89

34- موهوب..... 89

35- خذلان..... 90

36- نون..... 90

37- جدران. 91

)حمى(38-..... 91

39- مقصد 92

40- تراث..... 92

41- حلم..... 93

42- سداسية (أوطان) 93

43- ديموغرافيا..... 96

44- ربيب 96

45- توازنات..... 97

46- زقاق البؤس 97

47- مسقط..... 98

48- (لحظة) 98

49- فقد..... 99

50- هوية 99

51- تحقيق 100

52- شَجَا..... 100

الفهرس 101

حقوق النشر والتوزيع محفوظة

ببلومانيا للنشر والتوزيع